[وفيها توفي

يحيى بن أسعد[١]

ابن يحيى بن بَوْش، أبو القاسم الخباز، البغدادي.

سمع الكثير، وكان قد افتقر في آخر عمره، فكان يأخذ على التسميع أجرة، جلس ليلة ثالث ذي القعدة يأكل خبزاً، فغصَّ بلقمة، فمات فجأة، سمع قاضي المارَسْتان، وأبا العز بن كادش، وأبا سعد بن الطيوري، وأبا طالب بن يوسف، وهو آخر من روى عن أبي طالب، وقد سمعتُ منه الحديث، وكان ثقة][٢].

السنة الرابعة والتسعون وخمس مئة

فيها ولى الخليفة شمسَ الدِّين أبا الحسن عليَّ بن عبد السيد قضاء الجانب الغربي ببغداد مضافاً إلى الحِسْبة، وعَزَلَ عمادَ الدِّين عبد الله بن الحسين ابن الدَّامَغَاني عن قضاء القُضَاة، وولى مكانه أحمد بن علي البخاري، وولى شرف الدِّين أبا القاسم النَّاقد المخزنَ، ومات في الوِزارة.

وفيها نَزَلَ الفرنج في المحرَّم على تِبْنين، فأرسل العادل محيي الدِّين بن زكي الدِّين إلى العزيز إلى مِصْر يستنجده، فخرج بجيوشه إلى الشَّام، فوصل ثالث ربيع الأول، وكانوا قد ضايقوا الحِصْن ونقبوه من كلِّ ناحية، وأشرف على الأخذ، وهدُّوه بالمجانيق، [ونقبوه سرباً سرباً][٢]، وكانوا يستظلون بالأسراب من المطر، وجعلوا النقوب بيوتاً يسكنونها، وكان الفرنج يحدِّثون المُسْلمين من النُّقوب، وكان العادل نازلاً عند هونين، ومعه شيركوه صاحب حِمْص، والأمجد صاحب بَعْلَبَك، وعز الدين ابن المقدَّم، ودُلْدُرُم صاحب تل باشر، وجاءهم العزيز، فساروا جميعاً إلى هُونين، فلو تأخَّروا يوماً أُخذت تبنين، وقُتِلَ كلّ مَن فيها، وأرسل الله في تلك الليلة مطراً شديداً وريحاً عظيمة، وأوقع في قلوب الفرنج

(١) له ترجمة في «إكمال الإكمال» لابن الصابوني: ١١٠ ، ٢٣١ ، «التكملة» للمنذري: ١/ ٢٩٠ـ٢٩١ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٧٧ ، «مشيخة النعال»: ١٣٣ـ١٣٥ ، «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٤٣ـ٢٤٤ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الرُّعْب وقيل: جاءكم سُلْطان مِصْر والعساكر. فتركوا المجانيق والدَّبَّابات والآلات بحالها، والخيم وما فيها، وهربوا في اللَّيل إلى صور، ثم بعثوا يطلبون الصُّلْح، فصالحهم العزيز على قاعدة صُلْح صلاحِ الدِّين، وخَلَعَ العزيز على المُعَظَّم عيسى بن العادل، وأعطاه سنجقاً ومنشوراً بدمشق، وعاد إلى مِصْر، ومضى العادل إلى ماردين، فحصرها في رمضان، وملك الرَّبَض، ولم يبق سوى القلعة.

وحجَّ بالنَّاس من بغداد أيلبا، ومن الشَّام زين الدين قَرَاجا مملوك صلاح الدين.

وفيها توفي

جُرْديك بن عبد الله النُّوري(١)

كان من أكابر أمراء نور الدين، [ثم خدم صلاح الدين](٢) في جميع غَزَواته، وهو الذي قَتَلَ شاور بمِصْر وابنَ الخَشَّاب بحلب، وكان جَوَاداً، ولاه صلاح الدين القُدْس، ثم أخذه منه الأفضل، [وولاه أبا الهيجاء، وقد ذكرناه](٢).

حسن بن مُسَلَّم بن أبي الحسن(٣)

أبو علي، الشيخ الزَّاهد، الحَنْبلي، الفارسي: من قريةٍ بنهر عيسى يقال لها الفارسية، كان من الأبدال، لازماً طريق السَّلَف، أقام أربعين سنة لم يكلِّم أحداً من النَّاس، وكان صائم الدَّهْر، وقائم اللَّيل، يقرأ كل يوم وليلة ختمة.

[وذكره جدي في صفوة الصفوة، وقال: وكان](٢) زاهد زمانه، وكانت السِّباع تأوي إلى زاويته، و[كان](٢) الخليفة وأرباب الدَّولة يمشون إلى زيارته. [وحدثني عنه شيخنا عبد الكريم ابن أخيه، وكان صالحاً، قال: كان عمي الشيخ حسن](٢) يتمثل دائماً [بهذا البيت](٢): [من الطويل]

وما كنتُ إلا مثل قابضِ كَفِّه ... على الماءِ خانَتْه فروجُ الأصابعِ

---

(١) سلفت أخباره في هذا الكتاب.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) ترجمته في «معجم البلدان»: ٢/ ٣١٨، ٣/ ٢٢٨، «التكملة لوفيات النقلة»: ١/ ٣٠٠-٣٠١، «المختصر المحتاج إليه»: ٢/ ٢٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٧٨-٧٩، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٠١-٣٠٢، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

وكانت وفاته يوم عاشوراء، ودُفِنَ في رباطه بالفارسية[١].

قال المصنِّف رحمه الله: وقد زُرْتُه، وحكى لي جماعةٌ عن مشايخ القرية أَنَّ السِّباع تنامُ طول الليل حول زاويته، وإذا خرج أحدٌ من القرية في الليل إلى نهر عيسى لم تتعرَّض له، وأَنَّ فقيراً نام في الزَّاوية في ليلةٍ باردة، فاحتلم، فنزل إلى النهر ليغتسل، فجاء السَّبُع فنام على جُبَّته، فكاد الفقير يموت من البَرْد والخوف، فخرج الشيخ حسن، وجاء إلى السَّبُع، وضربه بكُمِّه وقال: يا مبارك، قد قلنا لك: لا تتعرَّض لضيفنا. فقام السَّبُع يهرول.

[سمع قاضي المارستان، وابن الحُصَيْن، وابن الطيوري، وغيرهم][٢].

زَنْكي بن مودود[٣]

ابن زَنْكي بن آق سُنْقُر، عماد الدين، صاحب سِنْجار، ابن أخي نور الدِّين، [وقد ذكرناه في السنين، و][٢] كان عاقلاً جواداً [وهو الذي قايض حلب بسنجار][٢]، ولم يزل مع [السلطان][٢] صلاح الدين في غزواته مجاهداً، وكان ميمونَ النقيبة، وكان صلاح الدين يحترمه مثلما كان يحترم نور الدين، ويعطيه الأموال والهدايا والتُّحَف الكثيرة، ولما توفي صلاح الدين خَرَجَ مع أخيه عِزِّ الدِّين إلى لقاء العادل، ولما عاد عِزُّ الدِّين إلى المَوْصل صالح عمادُ الدين العادلَ، وكانت وفاته بسِنْجار، ولما احتُضر أوصى إلى أكبر أولاده، وهو قُطْب الدين محمد، ويلقب بالملك المنصور.

علي بن جابر بن زهير قاضي البطائح[٤]

قال: أنشدني القاسم بن علي صاحب المقامات لنفسه: [من البسيط]

---

(١) لم أجد ترجمته في مطبوع «صفة الصفوة» الذي بين يدي.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ١/ ٧٩، «وفيات الأعيان»: ٢/ ٣٣٠ـ٣٣١، و«الوافي بالوفيات»: ١٤/ ٢٢٣ـ٢٢٤، و«النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٤٤، «الدارس»: ١/ ٦١٧.

(٤) له ترجمة في «معجم البلدان»: ٣/ ١٧٢، وفيه علي بن رجاء، وهو خطأ، و«ذيل تاريخ بغداد» لابن النجار: ٣/ ٢٣٤ـ٢٣٥، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣١٦، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٨٠، وانظر تعليقي عليه، «المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٢٠، و«البداية والنهاية» (وفيات سنة ٥٩٤هـ).

لا تَـخْـطُـوَنَّ إلـى خِـطءٍ ولا خـطـأ من بَعْدِ ما الشَّيْبُ في فَوْدَيْكَ قد وَخَطَا
فـأيُّ عُـذْرٍ لـمـن شـابَـتْ ذوائِـبُـهُ إذا سـعـى فـي مـيـادين الـصِّـبـا وخَـطَـا

علي بن علي بن ناصر[١]

أبو المجد، السيد العلوي [الحنفي][٢]، مدرِّس الحنفية ببغداد.

ولد سنة خمس عشرة وخمس مئة، [وتفقه على مذهب أبي حنيفة، وبرع فيه، وأفتى وناظر][٢]، وكان المستنجد قد حبسه وطالبه بمالٍ، فرأى النبيَّ ﷺ في المنام، فقال له: يا يوسف، استوص بولدي خيراً، فهو وديعتي عندك. فانتبه [الخليفة][٢] مرعوباً، وأحضره وخاطبه، وقال [له][٢]: اجعلني في حِلٍّ، فقد شَفَعَ فيك من لا يمكنني رَدّه. وأحسن إليه [غاية الإحسان، وأكرمه وقربه منه][٢]، وكانت وفاته في ربيع الأول، ودُفِنَ عند مشهد عبيد الله شرقي بغداد، وكان صالحاً شريفاً على الحقيقة، [سمع ابن الحُصَيْن، وقاضي المارَسْتان وابن السمرقندي، وغيرهم][٢].

قيماز بن عبد الله[٣]

مجاهد الدِّين، الخادم الرُّومي[٤]، الحاكم على المَوْصل، وهو الذي بنى الجامع المجاهدي والمدرسة، والرِّباط، والمارَسْتان بظاهر المَوْصل على دِجْلة، ووَقَفَ عليهم الأوقاف، وكان عليه رواتب كثيرة بحيث لم يَدَعْ في المَوْصل بيتاً فقيراً إلا وأغنى أهله، وكان دَيِّناً صالحاً، عادلاً كريماً، يتصدَّق كل يوم خارجاً عن الرَّواتب بمئة دينار، وله حكاياتٌ مشهورة.

---

(١) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ١٣٩ ، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣٠٣ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٨٠-٨١، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ١٣٠ ، و«الوافي بالوفيات»: ٢١/ ٣٣٨-٣٣٩ ، و«الجواهر المضية»: ٢/ ٥٨٤-٥٨٥ ، وفيه وفاته سنة ٥٩٩هـ، وهو خطأ.

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «الكامل»: ١٢/ ١٥٣-١٥٤ ، و«التكملة» للمنذري: ١/ ٣٢٣ ، و«الروضتين»: ٢/ ٤٥٣-٤٥٤ ، «وفيات الأعيان»: ٤/ ٨٢-٨٤ ، «مفرج الكروب»: ٢/ ١٥٣-١٥٤ ، ووفاته عندهم سنة ٥٩٥هـ، وكذلك أرخ وفاته ابن كثير في «البداية والنهاية»، وتابع المصنف على وفاته سنة ٥٩٤هـ أبو شامة في «المذيل»: ١/ ٨١-٨٢ ، وابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٤٤ .

(٤) الرومي هكذا جاءت في (ح)، وكذلك هي في نسخ «المذيل» و«النجوم الزاهرة»، وهو تحريف، صوابها الزيني، نسبة إلى زين الدين علي بن بكتكين، وكان عتيقه، كما في مصادر ترجمته.

ولما مات عِزُّ الدِّين مسعود، وولي ابنُه رسلان شاه حَبَسه وضيَّق عليه وآذاه، فتوفي في الحبس، فأُخرج ملفوفاً في كِساء، فلما وصل إلى باب البلد قال البوابون: قفوا حتى نستأذن له، فأُلقي على قارعة الطريق حتى أُذِنَ له.

وكان لعِزِّ الدين مسعود جاريةٌ يقال لها أقصرا أَوْلَدها الجهة الأتابكية[1] التي بَنَتْ في قاسيون التُّرْبة والمدرسة، وكانت زوجةَ الملك الأشرف رحمه الله، وكان عِزُّ الدِّين قد زوَّج أقصرا أم الأتابكية مجاهدَ الدين قيماز.

يحيى بن سعيد[2]

ابن هبة الله، أبو طالب ابن زَبَادة الواسطي، ولد سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وقَدِمَ بغداد، واشتغل بالأدب، فَبَرَعَ في الإنشاء والكتابة، وانتهت إليه الرياسة فيهما مع تخصُّصه بفنون العلوم، كالفِقْه وعلم الكلام والأُصول والحساب والشِّعْر، جالسَ أبا المنصور ابنَ الجواليقي، وقرأ عليه، وسَمِعَ أبا القاسم ابن الصَّباغ وغيره، وولي للخليفة عِدَّة خِدَم: حِجْبة الباب، ثم أستاذية الدار، ثم كتابة الإنشاء في آخر أمره، وكانت وفاتُه في ذي الحجة، ودُفِنَ بمقابر قريش، ومن شعره [من المجتث]:

الـوَجْـهُ كـالـبَـرْقِ يـخـفـق ... حـيـنـاً وفـي الـحـال يـخـفـى
فـتـارةً يـتـلالا ... وتـارةً يـتـخـفَّـى
يـظـمـيـك طـوراً وطـوراً ... يَـسْـقـيـك رِيًّـا ورَشْـفـا
لـو كـنـت فـي الـحـب صِـرْفـاً ... سَـقَـوْك فـي الـحـال صـرفـا

وقال: [من الخفيف]

قد سَلَوْتُ الدُّنيا ولم يَسْلُها مَنْ ... عَـلِـقَـتْ بـي آمـالُـه والأراجـي
فـإذا مـا صَـرَفْـتُ وَجْـهـيَ عـنـهـا ... قَـذَفُـونـي فـي بـحـرِهـا الـعَـجَّـاجِ
يـسـتـضـيـئـونَ بـي وأَهْـلِـكُ وَحْـدي ... فـكـأنِّـي ذُبـالـةٌ فـي سـراجِ

---

(١) ستأتي ترجمتها سنة (٦٤٠هـ).

(٢) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ٢٠/ ١٦ـ١٧ ، «الكامل»: ١٢/ ١٣٨ ، «التكملة» للمنذري: ١/ ٣١٥ ، و«المذيل على الروضتين»: ١/ ٨٢-٨٣ ، «وفيات الأعيان»: ٦/ ٢٤٤ـ٢٤٩ ، و«المختصر المحتاج إليه»: ٣/ ٢٤٢ـ٢٤٣ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٣٦ـ٣٣٣ ، وفي «المذيل» تتمة مصادر ترجمته.

قلت[1]: هذا مقدار ما ذكره المصنِّف رحمه الله، وقد ذكره قاضي القضاة شمس الدين ابن خَلِّكان رحمه الله في «وَفَيات الأعيان» فقال: أبو طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن زبادة الشَّيباني، الكاتب المنشىء، الواسطي الأصل، البغدادي المولد والدَّار والوفاة، الملقب قِوَام الدين، انتهت إليه المعرفة بأمور الكتابة والإنشاء وغير ذلك، وله النَّظْم الجيد، جالَسَ ابن الجواليقي، وقرأ عليه وعلى مَنْ بعده، وسمع الحديث من جماعة، وخَدَمَ الدِّيوان من صباه إلى أن توفي عِدَّة خدمات، وكان مليحَ العبارة في الإنشاء، جَيِّدَ الفكرة، حلو التوضيح، لطيف الإشارة، وكان الغالب عليه في رسائله العناية بالمعاني أكثر من طلب التسجيع، وله رسائل بليغة، وشعرٌ رائق، وفَضْله أشهر من أن يذكر.

وتولى النظر بديوان البَصْرة وواسط والحِلَّة، ولم يزل على ذلك إلى أن طُلب من واسط في المحرم سنة خمس وسبعين وخمس مئة، ورتِّب حاجباً بباب النوبي، وقُلِّد النَّظر في المظالم، ثم عُزِل عن ذلك في شهر ربيع الأول سنة سبع وسبعين، فلما قتل أُستاذ الدَّار ـ وهو مجد الدين أبو الفَضْل هبة الله بن علي بن هبة الله بن محمد بن الحسن المعروف بابن الصاحب، وكان قَتْلُه يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين ـ ترتَّب ابن زبادة المذكور مكانه، ثم عُزِلَ في سنة خمس وثمانين، وعاد إلى واسط، فأقام بها إلى أن استدعي في شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين، وقُلِّد ديوان الإنشاء في يوم الاثنين الثَّاني والعشرين من شهر رمضان، ثم رُدَّ إليه النظر في ديوان المقاطعات، فكان على ذلك إلى حين وفاته.

وكان حَسَنَ السِّيرة، محمود الطَّريقة، متديناً، حدَّث بشيءٍ يسير، وكتب النَّاس عنه كثيراً من نَظْمه ونَثْره، فمن ذلك قوله: [من الخفيف]

باضطِّراب الزَّمان ترتفع الأنـ ـذالُ فيه حتى يعمَّ البلاءُ
وكذا الماء ساكناً فإذا حُرِّ ك ثارتْ من قعره الأقذاءُ

(١) القائل هو قطب الدين اليونيني، مختصر «مرآة الزمان».

وله أيضاً: [من البسيط]

إني لأعظمُ ما يلقونني جَلَداً ... إذا توسَّطْتُ هولَ الحادثِ النكد
كذلك الشَّمْسُ لا تَزْدَاد قُوَّتها ... إلا إذا حَصَلَتْ في زبرة الأَسَدِ

وكتب إلى الإمام المستنجد يهنيه بالعيد: [من البسيط]

يا ماجداً جلَّ قدراً أن نهنيه ... لنا الهناءُ بظلٍّ منكَ ممدودِ
الدَّهْرُ أنتَ ويوم العيد منك وما ... في العرف أنا نُهَنِّي الدَّهْرَ بالعيدِ

وله أيضاً: [من الكامل]

إنْ كنتَ تسعى للسعادة فاستقمْ ... تنلِ المرادَ ولو سموتَ إلى السَّما
ألفُ الكتابة وهو بعضُ حروفها ... لما استقام على الجميعِ تقدَّما

وقال: [من البسيط]

لا تغبطنَّ وزيراً للملوك وإنْ ... أناله الدَّهْرُ منهم فوق هِمَّتِهِ
واعلمْ بأن له يوماً تمورُ به الـ ... أرضُ الوقورُ كما مارت لهيبته
هارون وهو أخو موسى الشقيق له ... لولا الوزارةُ لم يأخذ بلحيته

وله كل معنًى مليح، وله ديوانُ رسائل وقفت عليه في بلادنا، ولم يحضرني شيءٌ منه كي أثبته ها هنا.

وقال أبو عبد الله محمد بن سعيد الدّبيثي في «تاريخه»: أنشدنا أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله ـ يعني ابن زبادة المذكور ـ من حِفْظه، قال: أنشدني أبو بكر أحمد بن محمد الأرَّجاني لما قدم بغداد علينا في سنة ثمانٍ وثلاثين وخمس مئة لنفسه: [من الطويل]

ومقسومةِ العينين من دَهَش النَّوى ... وقد راعها بالعيس رَجْعُ حُداءِ
تجيبُ بإحدى مقلتيها تحيتي ... وأُخرى تراعي أعينَ الرُّقباء
رأت حولها الواشين طافوا فغيضت ... لهم دمعها واستعصمتْ بحياءِ
فلمَّا بكت عيني غداةَ وداعهمْ ... وقد روَّعتني فرقةُ القُرَناء
بدت في محيَّاها خيالاتُ أدمعي ... فغاروا وظنُّوا أنْ بكت لبكائي

وكَتَبَ إليه أبو الغنائم محمد بن علي المعروف بابن المعلم الهُرْثي الشَّاعر، وقد عُزِلَ عن نظر واسط: [من الكامل]

ولأنتَ إن لم يبلِ الغيثُ الثَّرى ... تروي الورى بسماحك الهتَّانِ
لم يعزلوك عن البلاد لحالةٍ ... تدعو إلى النقصان والشنآنِ
بل مُذْ رأوا آثارَ جودكَ زاخراً ... حفظوا بلادهمُ مِنَ الطوفان

وحكى الوجيه أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن سويد التَّاجر التكريتي، قال: كان الشيخ محيي الدين أبو المُظَفَّر يوسف بن الحافظ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي؛ الواعظ المشهور، قد توجَّه رسولاً من بغداد إلى الملك العادل ابن الملك الكامل ابن الملك العادل بن أيوب سُلْطان مِصْر في ذلك الوقت، وكان أخوه الملك الصَّالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محبوساً في قلعة الكَرَك يومئذٍ، فلما عاد محيي الدِّين راجعاً إلى بغداد، وقَدِمَ دمشق كنت بها، فدخلت عليه أنا والشيخ أصيل الدين أبو الفَضْل عباس بن عثمان بن نبهان الإرْبلي، وكان رئيس التجار في عَصْره، وجلسنا نتحدَّث معه، فقال: قد حلَّفت الملك النَّاصر داود صاحب الكَرَك أن لا يُخرج الملك الصَّالح من الحبس إلا بأمر أخيه الملك العادل، فقال له الأصيل: يا مولانا، هذا بأمر الدِّيوان العزيز؟ فقال محيي الدِّين: وهل هذا يحتاج إلى إذن؟ هذا اقتضته المصلحة، ولكن أنت تاريخ يا أصيل، فقال ـ يعني مولانا ـ: إني قد كبرت، وما أدري ما أقول، وأنا أحكي لمولانا حكاية في هذا المعنى أعرفها من غرائب الحكايات. قال: هاتِ. فقال: كان ابن رئيس الرؤساء ناظر واسط يحمل في كلِّ شهر حمل واسط، وهو ثلاثون ألف دينار، لا يمكن أن يتأخر يوماً عن العادة، فتعذَّر في بعض الأشهر كمال الحمل، فضاق صدره لذلك وذكره لنوابه، فقالوا له: يا مولانا، هذا ابن زبادة عليه من الحقوق أضعاف ذلك، ومتى حاسبته قام بما يتم الحمل وزيادة، فاستدعاه وقال له: أنت لم لا تؤدي كما يؤدِّي الناس؟ فقال: أنا معي خط الإمام المستنجد بالمسامحة، قال: فهل معك خط مولانا الإمام النَّاصر؟ قال: لا. قال: قم واحمل ما يجبُ عليك. قال: ما ألتفتُ إلى أحد ولا أحمل شيئاً. ونَهَضَ من المجلس، فقال النواب لابن رئيس الرؤساء: أنت صاحبُ الوسادتين وناظر النظار، ما على يدك يد، ومن هو هذا حتى يقابلك بمثل هذا القول؟ ولو كبست داره وأخذت ما فيها ما قال لك أحد شيئاً. وحملوه حتى ركب بنفسه وأجناده، وكان ابن زبادة يسكن قبالة

واسط، وقدَّموا لابن رئيس الرؤساء السفن حتى يعبر إليه، وإذ بزَبْزب قد قدم من بغداد، فقال: ما قدم هذا إلا في مهم، ننظر ما هو، ثم نعود إلى ما نحن بسببه، فلما دنا من الزبزب، فإذا فيه خدم من خدام الخليفة، فصاحوا به: الأرض الأرض، فقبَّل الأرض، وناولوه مطالعة، وفيها: قد بعثنا خِلْعة ودواة لابنِ زبادة، فتحمل الخلعة على رأسك والدَّواة على صَدْرك، وتمشي راجلاً إليه، وتلبسه الخلعة، وتجهزه إلينا وزيراً. فحمل الخِلْعة على رأسه، والدَّواة على صدره، ومشى إليه راجلاً، فلما رآه ابن زبادة أنشده ابن رئيس الرؤساء: [من الطويل]

إذا المرء حيٌّ فهو يُرْجى ويتَّقى وما يعلمُ الإنسان ما في المغيَّبِ

وأخذ يعتذر إليه، فقال ابن زبادة: لا تثريب عليكم اليوم. وركب في الزَّبزب إلى بغداد، وما علموا أَنَّ أحداً أُرسلت إليه الوزارة غيره، فلما وصل إلى بغداد أول ما نظر فيه أن عزل ابن رئيس الرؤساء عن نظر واسط، وقال: هذا ما يصلح لهذا المنصب، ثم قال الأصيل: ولا يأمن يا مولانا أن يخرج الملك الصَّالح، ويملك وتعود إليه رسولاً، ويقع وجهك في وجهه، وتستحي منه، فأنشده محيي الدين [من الطويل]:

وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشرَ في الموتى كليبٌ لوائل

فما كان إلا مديدة حتى خرج الملك الصَّالح من حبس الكَرَك، وملك مصر، وكان ما كان.

قال قاضي القضاة رحمه الله: وكنتُ بمصر ومحيي الدِّين بها رسول إلى العادل، وقُبض العادل، وجاء الصَّالح، فخرج محيي الدين التقاه، وشاهدتُ ذلك.

هكذا ذكر الوجيه هذه الحكاية، وفيها غلط إما من الوجيه أو من الأصيل، فإنَّ ابن زبادة ما ولي الوزارة ولا تولى إلا ما ذكرته في أوائل ترجمته، فإنْ كان هذا صحيحاً فيكون ذلك لما طلب للإنشاء كما شرحته. والله أعلم بالصَّواب.

قال ابن الدبيثي: سألتُ أبا طالب ابن زبادة عن مولده فقال: ولدت في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وخمس مئة، وتوفي ليلة الجمعة السابع والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمس مئة، وصلي عليه بجامع القصر، ودُفِنَ بالجانب الغربي بمشهد الإمام موسى بن جعفر رضي الله عنهما ببغداد. انتهى كلام قاضي القضاة، رحمه الله[1].

(١) «وفيات الأعيان»: ٦/ ٢٤٤-٢٤٩ .

قلتُ[١]: ويحيى ابن زبادة هو منشئُ الرِّسالة إلى السُّلْطان صلاح الدين ـ رحمه الله ـ تتضمن العَتْب عليه، وقد أثبتها فيما تقدَّم[٢]، وهي من غُرَر الرَّسائل.

أبو الهيجاء السَّمين[٣]

حسام الدين الكُرْدي. قد ذكرنا أَنَّه قَدِمَ بغداد، وبعثه الخليفةُ إلى هَمَذَان، فلم يتمَّ له أمر، واختلف الأمراء عليه، وتفرَّق عنه أصحابه، فخاف من الخُوارَزْمي، واستحيا أن يعود إلى بغداد، فسار يطلب الشَّام على دَقُوقا، فلما وصل إليها مرض، وأقام بها أياماً، فتوفي، و[بلغني أنه][٤] كان نازلاً على تل، فقال: ادفنوني فيه، فحفروا له قبراً على رأس التَّلِّ، فظهرت بلاطةٌ عليها اسم أبيه، فدفنوه عليه.

السنة الخامسة والتسعون وخمس مئة

دخلت هذه السنة والعادل على مارِدِين، وتوفي الملك العزيز في المحرَّم، وكتبت الصَّلاحية إلى الأفضل وهو بصَرْخد ليقدم عليهم، فسار إلى مِصْر، فجعلوه أتابَك ولد العزيز.

قال المصنف رحمه الله: وفيها وقف خالي محيي الدين أبو محمد يوسف [للخليفة في رجب، ومعه قصة ببستان يقال له دولاب البقل][٤] يذكر فيها ما نال جَدِّي وأهله من الضُّرّ، وكان نجاح الشرابي بين يدي الخليفة، فجاء، فأخذ الورقة، وقال له [الشرابي][٤]: تعال إلى باب البَدْرية، ووقعوا له بالإفراج عنه، فقَدِمَ جَدِّي بغداد في شعبان، وخُلِعَ عليه، وجلس عند تُرْبة أُمِّ الخليفة، وكانت تتعصَّب له، وساعدت في خلاصه، وأنشد جدِّي للشَّريف الرَّضي: [من السريع]

إن كـــان لـــي ذنـــبٌ ولـــم آتـــه ... فاستأنفِ العَفْوَ وَهَبْ ما مضى

[وهذا الشِّعْر للرَّضي الموسوي، وقد ذكرناه في ترجمته][٤].

---

(١) هو قطب الدين اليونيني، مختصر الكتاب.

(٢) سلفت الرسالة في حوادث سنة (٥٨٣هـ)، ص٣٢٥ من الجزء ٢١ من هذا الكتاب.

(٣) سلفت أخباره في هذا الكتاب.

(٤) مابين حاصرتين من (م) و(ش).